

جواد الحطّاب.. أفعى الرائحة المميّنة مشاهد سرديّة لا تُنسى

حسين سرمك حسن

بغداد



كان من بين مشاريعه النقدية المهمة قبل عدة سنوات هو مشروع "مشاهد سرديّة لا تُنسى الذي كتبت ونشرت منه حلقتين كما أتذكر في الصحف والمواقع الإلكترونية على الشبكة (الإنترنت). الهدف من هذا المشروع الذي لفت انتباه بعض الأخوة القّاد الأوّل القراء آنذاك شامل بمعنى استخلاص الدروس الإبداعية والخصائص الفنية الجمالية التي جعلت هذا المشهد عظيماً لم يكتب قبله ولا بعده في مجاله التعبيري وسياقه الفني ومحاولاته الفكرية والنفسية الفريدة من وجهة نظري . وخططت لإنتقاء مشاهد سرديّة متنوّة من الإبداع السردي العراقي والعربي والعالمي. والمشروع فيه ناحية تدريبية أيضاً ذات شقين : الأوّل يتمثل في تدريب ذائقة القارئ على الاستقبال العميق والوعي المنفعل جمالياً بالمواقف السردية الباهرة واستكشاف المعاني الفنية الكامنة والمستترة والمضامين والصراعات والأوليات والعمليات النفسية الغائرة التي تؤكّد كون المبدعين -حسب الوصف الدقيق لمعلم فيينا -هم أساتذة علم النفس التلقائيتين الذين جعلهم حواسهم الإبداعي وحساسيتهم الإنسانية النفسية العالية يكتشفون الكثير من قوالتنّ النفس البشرية وصراعاتها وادّواعها المغرّرة قبل أن يوصغها علماء النفس في صبغة قوائين وقواعد سلوكية رصينة. والثاني يتمثل في تدريب الشباب من كتّاب السرد القصصي والروائي وحتى السيري على الاشتراطات والخصائص الفنية واللغوية والجمالية التي تجعل المشهد السردى عظيمًا وساحرًا يتربع على سوق شاقق على سدة التشابه الروائي. من خلال دراسة كل مشهد سردي مختار والاشارة اسرار معنّته وإبعاده الفنيّة والجمالية والنفسية يحصل الكاتّب الشاب وهو يضع خُطواته الأولى على درب الفنّ التشكيلي الشائك العلى في نماذج مثالية من حيث كمالها الفني

وبهائها الجمالي وعمقها الفكري والنفسي وشكلها اللغوي (وهذا لا يعني أبداً عن الموهبة والقدرات اللغوية والمعرفة النظرية بأسس الفن الروائي والخزّين القرائي الثر من عيون وأهيات الفنّ الروائي العربي والعالمي). تناولت مشاهد روائية فذّة شكّلت سبقاً في سياقها وصياغتها التصويرية وتعبيراتها الجمالية وغوصها في أعماق شخصيتها وتقدمها ما هو جديد بارع وصادم في عالم الرواية مثل أوّل مشهد للواقعية السحرية - كما سُمّي برغم أن الواقع العراقي منذ الثمانينات جعل تعبير الواقعية السحرية بارداً ومصطنعاً لأنّ الواقع فيه سبق الخيال - في الرواية العراقية للروائي العراقي الكبير غائب طعمة فرمان من رواية "القرّبان" وآخر من رواية "العرس الوحشي" للروائي الفرنسي يان كيغليك. وبسبب ظهور انشغالات أهم في عملي البحثي والنقدي أجّلت هذا المشروع وما أنا أعود إليه وقتياً لسبب لأن تلك المشروعات التي شغلّنتني عنه قد انتهت ولن لأنّني اتّخمت بها ومنها ولم أجد ماذا يتبقى من هذه الحالة المؤذية سوى العودة إلى احضان الفنّ العظيم فهو الشيء الوحيد الذي يحفظ حياتنا من الانحطاط ويحفظنا من الإنكسار والجنون. وأواصل مشروعي المهم هذا بمشهد عظيمٍ منظره الشاعر "جواد الحطّاب" في كتابه "يوميات فنّدق إن الهميّم الذي سالته في لقاء مهم وموسع أجريته معه كجزء من كتابي عنه لماذا سُمّي هذا الكتاب "فتر حرب" وكم يحمل من خصائص الرواية فقال: (يوميات فنّدق إن الهميّم: في كتاب يورّخني ملطماً يورّخ المدينة (البصرة) وفصوله تمدّد على مساحة زمنية تستغرق طوال سنوات الحرب (العراقية الإيرانية) إلى ثماني سنوات؛ ومساحة جغرافية زمنها العراق كله؛ من شماله إلى جنوبيه؛ ومن شرقه إلى غربه؛ وبالتالي فهي (رواية) حرب؛ أو (فتر حرب) حقيقي؛

وفتر الحرب -وهذا مما يعرفه الجنود -هو السجل اليومي لأحداث القطعة العسكرية؛ في القتال والإدارة والأوامر الأخرى.. وها ما تجده في الكتاب؛ وإن كان سجلاً (شخصياً) للناس الذين التقيتهم في الخطوط الامامية؛ وفي كائنات الموت.. مشرعي الروائي (إذا جازت التسمية) ابتداءً مع بدايات الحرب مع إيران؛ وكان اسمها؛ وكانه نبوءة (لن يتوقف الرصاص) لأنّه فعلاً لم يتوقف الرصاص فيما بعد؛ ونشرت منها فصلين في مجلة يرأس تحريرها الناقد الكبير محمد الجزائري؛ الذي احتفى بها في الأخريرة للأجساد.. لا أريد أن أتبرح شفقتكم إذا قلت بأن نصف راثبي كان نوراً للأولياء الصالحين من أجل أن لا أتم هذه الرائحة؛ في أيام الإجازة على الأقل؛ أما هناك في الجبهة فليس مهماً وجودها أو عدمه فهناك "المنشأ".. انها تنبع من.. لا أدري.. من حجاب فصيل ابن اطفال سرية.. من مقر فوج.. هذه الرائحة التي ما زالت تحاصرني منذ أوّل معركة في مرتفعات "زين القوس" منذ أوّل موضع حفرته في التلال، ثم اصطدمت بحدي بمجمعة إنسان؛ كان قبيراً!!! كانت القنابل تحرّث المنطقة ولا مجال لحفر موضع آخر فاضطرون إلى البقاء مع الحجة حتى الصباح، منذ تلك اللحظة ابتدأت اليومية التي جاء فيها من الجبهة ليستريح لإيام وينسى هموم الحرب ولعناتها: ((.. الهدوء السائد في الحقيقة يغمرني بالأمان والبراءة، هنا لا شيء يذكرك، من الممكن أن تنسى وتغرق وتنتبه بعددًا مع البط السابح في البحيرة والضجة الليفية لاصططاك أجنحة الحمام وسعادة الطواويس بريشها الزاهي، وتركاثر الغزلان في الأقباص بون خوف من الصيادين.. أتذكر أن هذا يوم يومي الأول في الإجازة اليومية، وعلى أن أخذ نصيبي كاملاً من الأيام السنة المتبقية منها.. علي أن أكافح من أجل الإجازة لا تقاطعها الذكريات ومدادها الذي لا يتخلف في القلب سوى المرارة، كم شخصاً يولد فيك بعد المعركة؟.. المثنوي الكاركي فاستلقني على تلة مغطّية؛ وارتح ظهري على كفيها الطري؛ فوق راسي قمامة نظيفة الزرقة، وفي استطاعتي أن انام على نفسي الآن دون أي رهبة لصارفت الإنذار.. حاولت أن اتجاهل عيني المبردة العانس؛ التي تقود سفرة الأطفال المدرسية..

ودفتر الحرب -وهذا مما يعرفه الجنود -هو السجل اليومي لأحداث القطعة العسكرية؛ في القتال والإدارة والأوامر الأخرى.. وها ما تجده في الكتاب؛ وإن كان سجلاً (شخصياً) للناس الذين التقيتهم في الخطوط الامامية؛ وفي كائنات الموت.. مشرعي الروائي (إذا جازت التسمية) ابتداءً مع بدايات الحرب مع إيران؛ وكان اسمها؛ وكانه نبوءة (لن يتوقف الرصاص) لأنّه فعلاً لم يتوقف الرصاص فيما بعد؛ ونشرت منها فصلين في مجلة يرأس تحريرها الناقد الكبير محمد الجزائري؛ الذي احتفى بها في الأخريرة للأجساد.. لا أريد أن أتبرح شفقتكم إذا قلت بأن نصف راثبي كان نوراً للأولياء الصالحين من أجل أن لا أتم هذه الرائحة؛ في أيام الإجازة على الأقل؛ أما هناك في الجبهة فليس مهماً وجودها أو عدمه فهناك "المنشأ".. انها تنبع من.. لا أدري.. من حجاب فصيل ابن اطفال سرية.. من مقر فوج.. هذه الرائحة التي ما زالت تحاصرني منذ أوّل معركة في مرتفعات "زين القوس" منذ أوّل موضع حفرته في التلال، ثم اصطدمت بحدي بمجمعة إنسان؛ كان قبيراً!!! كانت القنابل تحرّث المنطقة ولا مجال لحفر موضع آخر فاضطرون إلى البقاء مع الحجة حتى الصباح، منذ تلك اللحظة ابتدأت اليومية التي جاء فيها من الجبهة ليستريح لإيام وينسى هموم الحرب ولعناتها: ((.. الهدوء السائد في الحقيقة يغمرني بالأمان والبراءة، هنا لا شيء يذكرك، من الممكن أن تنسى وتغرق وتنتبه بعددًا مع البط السابح في البحيرة والضجة الليفية لاصططاك أجنحة الحمام وسعادة الطواويس بريشها الزاهي، وتركاثر الغزلان في الأقباص بون خوف من الصيادين.. أتذكر أن هذا يوم يومي الأول في الإجازة اليومية، وعلى أن أخذ نصيبي كاملاً من الأيام السنة المتبقية منها.. علي أن أكافح من أجل الإجازة لا تقاطعها الذكريات ومدادها الذي لا يتخلف في القلب سوى المرارة، كم شخصاً يولد فيك بعد المعركة؟.. المثنوي الكاركي فاستلقني على تلة مغطّية؛ وارتح ظهري على كفيها الطري؛ فوق راسي قمامة نظيفة الزرقة، وفي استطاعتي أن انام على نفسي الآن دون أي رهبة لصارفت الإنذار.. حاولت أن اتجاهل عيني المبردة العانس؛ التي تقود سفرة الأطفال المدرسية..

أردتها أن تبعد قبل أن يقع ما أخافه، ما صليت مراراً لئله طوال الطريق الشاسع بين الفاو وبغداد من أجل أن لا يحدث.. لكنني كنت مثل من بترّث بيده قذيفة ويحاول أن يرتقي حائطاً من المرص. وفجأة انهار كل شيء؛ ربما مرت بأحدم هذه الحالة؛ أن ترافقه رائحة ما؛ فنغالب، نط، عطر، بانزين، حريق.. وتظل معه؛ تعود إليه حتى بعد زوال أسبابها؛ بالنسبة لي كانت رائحة المعركة مرّة خشمي؛ الجثث المحترقة؛ الإطارات المشتعلة؛ الحديد الساخن؛ الأثات؛ النظرات الرّجاجية الساكنة؛ الانتفاضة الأخيرة للأجساد.. لا أريد أن أتبرح شفقتكم إذا قلت بأن نصف راثبي كان نوراً للأولياء الصالحين من أجل أن لا أتم هذه الرائحة؛ في أيام الإجازة على الأقل؛ أما هناك في الجبهة فليس مهماً وجودها أو عدمه فهناك "المنشأ".. انها تنبع من.. لا أدري.. من حجاب فصيل ابن اطفال سرية.. من مقر فوج.. هذه الرائحة التي ما زالت تحاصرني منذ أوّل معركة في مرتفعات "زين القوس" منذ أوّل موضع حفرته في التلال، ثم اصطدمت بحدي بمجمعة إنسان؛ كان قبيراً!!! كانت القنابل تحرّث المنطقة ولا مجال لحفر موضع آخر فاضطرون إلى البقاء مع الحجة حتى الصباح، منذ تلك اللحظة ابتدأت اليومية التي جاء فيها من الجبهة ليستريح لإيام وينسى هموم الحرب ولعناتها: ((.. الهدوء السائد في الحقيقة يغمرني بالأمان والبراءة، هنا لا شيء يذكرك، من الممكن أن تنسى وتغرق وتنتبه بعددًا مع البط السابح في البحيرة والضجة الليفية لاصططاك أجنحة الحمام وسعادة الطواويس بريشها الزاهي، وتركاثر الغزلان في الأقباص بون خوف من الصيادين.. أتذكر أن هذا يوم يومي الأول في الإجازة اليومية، وعلى أن أخذ نصيبي كاملاً من الأيام السنة المتبقية منها.. علي أن أكافح من أجل الإجازة لا تقاطعها الذكريات ومدادها الذي لا يتخلف في القلب سوى المرارة، كم شخصاً يولد فيك بعد المعركة؟.. المثنوي الكاركي فاستلقني على تلة مغطّية؛ وارتح ظهري على كفيها الطري؛ فوق راسي قمامة نظيفة الزرقة، وفي استطاعتي أن انام على نفسي الآن دون أي رهبة لصارفت الإنذار.. حاولت أن اتجاهل عيني المبردة العانس؛ التي تقود سفرة الأطفال المدرسية..

الثانية يعانون من كوابيس ليلية ترتبط بسنوت اسره لدى الجانب المعادي .. أتذكر أن اسير حرب عراقي من كركوك عاد الى وطنه بعد أكثر من (12)عاما من الأسر؛ احتفى الأهل بقمومه واقاموا مأدبة لإهالي القرية؛ أنهى الأسير طعامه فرحاً، وقام ليغسل يديه؛

جريمة قتل

قبل قيامه أخذ نصف رغيف، طواه بعناية، ووضع في جيبه؛ تشكو إحدى الزوجات من أن زوجها المحارب العائد من الأسر يواقعها ثم يترك السرير لينام على الأرض.. وآخر يدخل المرافق الصحية ويترك الباب مفتوحاً. وفي الولايات المتحدة الأمريكية حين تحصل جريمة قتل في أحد الأحياء يكون الاحتمال الثاني أن يكون القتال من مقاتلي حرب فيتنام السابقين. جواد الحطّاب ليس اختصاصياً بعلم النفس أو الطب النفسي لكنه خبير أكثر منهم باوجاع النفس البشرية ومظالمها وخيباتها وسهولة انجرافها بخلاف ما تُظهِره من تنفّج ومكابرة. تلك



جواد الحطّاب

وصف ما شاهده، ولا قدرة لديه على التفاهم مع من تركهم قبل قليل. يشكو جنود الحرب من أن لا أحد يفهمهم ولا يعرف لغتهم من المديرة العانس إلى أقرب الناس لديهم. يفقدون "القدرة على الحياة" ولن يستطيعوا حتى مجاملة الأطفال بصورة عابرة في حديقة حيوان. سنتبّعهم تلك الرائحة التي لا تُعرف حتى وهم في أسرة نومهم مع زوجاتهم أو قرب احضان أهائهم. الرائحة.. الرائحة.. الرائحة. تلك الرائحة تعلق بالروح والوجدان والمعلل والذاكرة وتخلّفات لتذكّر كل مرة تحاول فيها الإسترخاء وترى علامات الحياة البائخة من خلال الأبطال، تذكّر بان الموت هو الحي الذي لا يموت. وهذا المبدع المحارب المُعبّد يذكّرنا بأنكم حين تتقاتلون لا تذهبون إلى نزهة وأن هناك شيئاً سيعلق بآرواحكم بصورة أوفق وأقوى من رائحة الموت. وكلمات جواد الحطّاب تؤثر فينا بدرجة أعظم من كلمات أي عالم نفس أو رجل سياسة. كلماته تصوّر لنا تفامثنا وكيف يمكن أن نُدْفن في الأرض الحرام بلا علم أو وكيفية وستنظّطران دهرًا، وكيف سيأتي شخص محاصر وحيد ليجيش تريبتنا وتصطدم أصابعه بججمعتنا الصلعاء وكيف سيقضي أطفاله منك.

أزهر جرجيس فوق بلاد السودان

الدعابات الذكية والفكاهة غير المتوقعة

حمدي العطار

بغداد



ليس من السهل أن تخلق أبتساماً لدى القارئ تحمل فيها شيئاً من السياسة والمشاكل الاجتماعية والنفسية غير بعيد عن ذلك الفهم الخاطي والخطير للمعتقدات الدينية في ظل انتشار الإرهاب وما يخلفه من موت ودمار بمجموعة من قصص وحكايات ساخرة تقدمها لنا "أزهر جرجيس" فوق بلاد السودان صدرت المجموعة من المؤسسة العربية للدراسات والنشر -بيروت، تقع المجموعة في 152صفحة من الحجم المتوسط وتضم مجموعة من المشاهدات ومواقف حدثت للكاتب أو هو يرويها وقد يكون سمعها من الآخرين.في كل قصة هناك عنصر من عناصر السخرية كما لا تخلو من التناقض الذي يثير الإعجاب والضحك احباينا الضحك الاسود) كما أن في نهاية كل قصة هناك ما يطلق عليه (الضربة) أو (القشة) على حد تعبير المصريين!

يوم ضائع

مقولة للممثل الكوميدي المضحك بأسلوبه الصامت -تشارلي شابان- يضعها القاص بمثابة تحوية لأهمية السخرية والضحك في حياتنا،وهو ما عبر عنه أيضا الناقد . حسن سرجان على الغلاف الخارجي للمجموعة "نصوص هذه المجموعة فوق بلاد السودان ذات نكهة خاصة تستفز وجودها يوما وتخبر الوجه الكالح الذي طالما وسم أدينا العراقي منذ الولادة إلى اليوم

يستشهد القاص بحكاية مقبسة للكاتب التركي (عزيز نيسين) وهي تحصل كل التناقضات التي يمكن أن يتصورها القارئ ،مرض يراجم الطبيب يشكو له فقدان أي طعم للحياة ،ويعد نفسه مسؤولاً عن كل الجرائم

بين (شعيب) الأفغاني –الإرهابي- سابقا- الفنلندي طالب الدكتوراه في الفيزياء في جامعة هلسنكي العظيمة- حاليا،والطرف الثاني من المحادثة هو (هيثم) النرويجي من أصل عراقي وهو يمثل صوت القاص:

جعل القاص مكان اللقاء في السفينة هذه هي الجنة التي يريدونها! لو كان القاص رمزية عوامة الإرهاب، بعدة مجازات التعارف،يستغرب هيثم العراقي معرفة شعيب الأفغاني للغة العربية ويساله أين تعلمها، يجب شعيب أني من مدارس القرآن في كابول،كنت طالبا في حلقة دينية ومجاهدا في سبيل الله لحتى تركت كل ذلك وبحثت إلى فنلندا!هنا نقطة التحول في القصة ليتحول الحوار إلى مناقشة فكرية لعقيدة الإرهاب ومعنى الدين والجنة والأخرة، لأن شعيب بعد تعرضه إلى أصابه بعد الاشتباك مع (الكفار) حرب رفاقه وتركوه يترق، في المستشفى يباكضن يعترف شعيب على الحاج المتشور والشيخ صاحب الخبرة والدراية بالدين والدنيا ليحظن شعيب ويعلمه (السار)بانه سوفي حديثا، في كفتي ميزان يحتوي فيه الله،وماذا يعني الشيطان، وما الفرق بين الإيمان وبين ما كنا نفعله في خلق الله (عباده)

في حوار فلسفي يضعنا القاص على لسان مشرقي ماذا تعني الجنة (تعني أن تكون مع ربك في النهاية راضيا برضاه) أن الوصف المادي للجنة في القرآن جاء لغرض أن يستوعب الإنسان المفاهيم،فالتقريب مهم فلا بد من أدوات تقرب المعنى، كما الصغير لا يعرف عن اللذة بعد من الشعور بإكل الحلوى،«لا ترائنا نشرح معنى اللذة للطفل على انها مثل الحلوى»! هذا ما يفعله القرآن معنا، يقرب لنا ما سنثاله في الجنة بالعسل واللبن والنساء (حور العين) والخدم والحشوروما تفهمه عقولنا،لكن الحقيقة أكبر من هذا بكثير والجزاء من طعام وشراب وجنس وعن لجوء شعيب إلى فنلندا بالذات "لأنها أرض لم تلوثها الدماء ولم يفسد هواها البارود،وحينما ينساب الحوار بهوء راقي يمتزج فيه ألحز باللمحات الذكية يرد شعيب عن سؤال هيثم :-أتدعي أن

أتاولي فنلندا، /من: الذين يلقبون أنفسهم بالمجاهدين:هل جنتت يار رجل! كلا لست مجنونًا، لكنهم لو جاءوا الي فنلندا، لوجدوا جنتهم التي يبحثون عنها،سيجدون خمرًا ونساء وفاكهة وعسلا وانهارا ويأشجارا وكل ما يشتهون... اليست هذه هي الجنة التي يريدونها! لو كان القاص رمزية عوامة الإرهاب، بعدة مجازات التعارف،يستغرب هيثم العراقي معرفة شعيب الأفغاني للغة العربية ويساله أين تعلمها، يجب شعيب أني من مدارس القرآن في كابول،كنت طالبا في حلقة دينية ومجاهدا في سبيل الله لحتى تركت كل ذلك وبحثت إلى فنلندا!هنا نقطة التحول في القصة ليتحول الحوار إلى مناقشة فكرية لعقيدة الإرهاب ومعنى الدين والجنة والأخرة، لأن شعيب بعد تعرضه إلى أصابه بعد الاشتباك مع (الكفار) حرب رفاقه وتركوه يترق، في المستشفى يباكضن يعترف شعيب على الحاج المتشور والشيخ صاحب الخبرة والدراية بالدين والدنيا ليحظن شعيب ويعلمه (السار)بانه سوفي حديثا، في كفتي ميزان يحتوي فيه الله،وماذا يعني الشيطان، وما الفرق بين الإيمان وبين ما كنا نفعله في خلق الله (عباده)

في حوار فلسفي يضعنا القاص على لسان مشرقي ماذا تعني الجنة (تعني أن تكون مع ربك في النهاية راضيا برضاه) أن الوصف المادي للجنة في القرآن جاء لغرض أن يستوعب الإنسان المفاهيم،فالتقريب مهم فلا بد من أدوات تقرب المعنى، كما الصغير لا يعرف عن اللذة بعد من الشعور بإكل الحلوى،«لا ترائنا نشرح معنى اللذة للطفل على انها مثل الحلوى»! هذا ما يفعله القرآن معنا، يقرب لنا ما سنثاله في الجنة بالعسل واللبن والنساء (حور العين) والخدم والحشوروما تفهمه عقولنا،لكن الحقيقة أكبر من هذا بكثير والجزاء من طعام وشراب وجنس وعن لجوء شعيب إلى فنلندا بالذات "لأنها أرض لم تلوثها الدماء ولم يفسد هواها البارود،وحينما ينساب الحوار بهوء راقي يمتزج فيه ألحز باللمحات الذكية يرد شعيب عن سؤال هيثم :-أتدعي أن



غلاف المجموعة القصصية